الحركة الوطنية الكردية إشكالية التأسيس

آزاد برازي
كاتب - سوريا

في الرابع عشر من حزيران تمر الذكرى تأسيس أول تنظيم سياسي كردي في سوريا، ومازالت حقيقة ذلك الحدث التاريخي تشوبها الكثير من اللغط، عام التأسيس، والمؤسسون، اسم الحزب.

والبعض يحاول لي عنق التاريخ وفق مزاجياتهم ومصالحهم الشخصية والحزبية، يقول محمد ملا أحمد مؤلف كتاب صفحات من تاريخ حركة التحرر الوطني الكردية في سوريا، في مقالته حول تأسيس البارتي في ذكراه الحادي والخمسين: ((كثرت الكتابات عن البارتي وأحداثه، القديمة والحديثة، خاصة ونحن نقترب من ذكرى تأسيسه الحادي والخمسين. وللبعد الزمني، نصف قرن من الزمن، بدأت الأقلام تسرب ما يحلو لها، عن قصد، لتشويه سمعة الحركة، أو جهلاً بالأحداث، تتصورها حقيقة كانت في يوم من الأيام. فالمعاصرون (المؤسسون، والقياديون، والمسؤولون، والأعضاء) لتلك الفترة، إما قد رحلوا (فلهم الرحمة)، أو أحياء مطلعين، يتحاشون الضوضاء، ويطلبون الدعة والهدوء، في هذا الصخب الكبير المنتشر بلا رحمة. لذا فهؤلاء الكتاب، مع الاحترام، يبدؤون في التحليل والربط ما يشتهون، ويتركون ما لا يرغبون فيه، ويطلقون الأحكام، على أحداث هم بعيدون عن أجوائها زمنياً نصف قرن، منها جائرة، بعيدة عن العدل والإنصاف، وأخرى تحاول أن تكون منصف)).

التاريخ علم، وهو يصنف ضمن العلوم الإنسانية وله منهجية خاصة به في كيفية تناول الحادثة التاريخية ببعديه المادي والمعنوي من خلال الوثائق والشخصيات التي عايشت الحادثة، أو من خلال الشخصيات التي تناقلت الحادثة عبر عقود من الزمن، ولكل مستوى آلية وخطوات منهجية تساعد للوصول إلى حقيقة الحادثة التاريخية وطبيعة مفرداتها وأدوار شخوصها وسياقاتها المرحلية وارتباطاتها بما قبلها

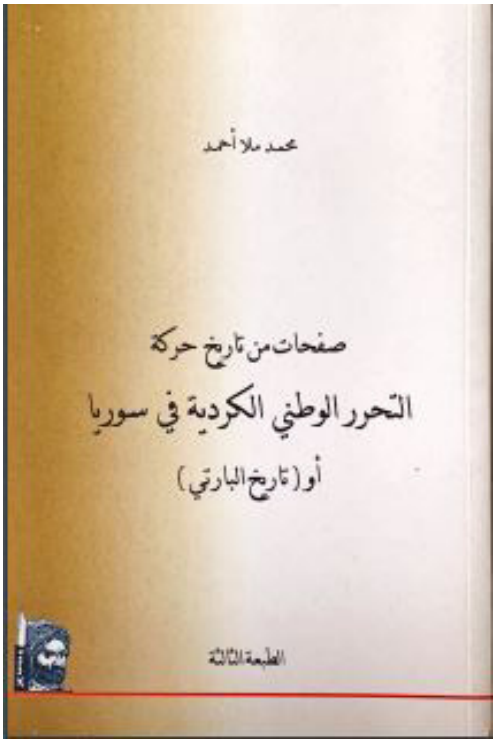

من ظروف، ونتائجها المستقبلية بمستوياتها المختلفة، وتبقى الموضوعية هي السمة الأبرز التي يهدف التاريخ لتحقيق المقاربة معها لتكتسب مصداقية أكثر في عرضها لتلك الحقائق.

ولاشك فيه أن تأسيس أول حزب سياسي كردي في سوريا، ليس من نسج الخيال فهو حقيقة يقينية لا يمكن الشك فيها، وجرت وقائعه في زمان ومكان معينين، وشخوص ساهمت بصناعة الحادثة التاريخية ولكل دوره، إذاً أين تكمن المشكلة؟؟ المشكلة تكمن في طغيان النزعة الذاتية واستغراقها فيها، لاعتبارات متعددة، منها شخصية، ومنها حزبية ولربما عائلية وعشائرية، تنجم عنها إغفال أدوار شخصيات في الحادثة، ولي عنق الحادثة من حيث الوقائع وتأويلها، في هذه الحالة لا يمكن الاستعانة بمقولات وليدة هذه النزعة كونها تفتقد إلى الموضوعية.

نعم الحقيقة هي غايتنا، فكيف نصيغ التاريخ من اللاتاريخ؟؟ فهل مزاجياتنا وأنانيتنا كافية لكتابة تاريخنا، فكما يقول أرسطو لا علم إلا بالكليات، فلابد من حقيقة واحدة عامة مشتركة لتكون أساس لبناء الأحداث عليها، يقول محمد ملا أحمد في نفس المقالة المذكورة أنفاً: ((وأتصور أن الكل يريد أن يسمع الحقيقة، ويرغب فيها، ولكن كيف له أن يقتنع بأن هذا القول هو حقيقي أو بعيد عنه)) السؤال المشروع عند ذكر هذه الوقائع، كيف لنا أن نقتنع بأن ما ذكر هو حقيقة أم لا ؟؟ لربما الإجابة بغاية السهولة، عندما نقول يجب حضور الروح البحثية النقدية وبمنهجية تاريخية وبسواد الموضوعية على النزعة الذاتية، ولربما الإجابة تكون في غاية الصعوبة بغياب كل ذلك.

وبالعودة إلى إشكالية تأسيس أو تنظيم سياسي كردي في سوريا، تعددت الآراء حول عام التأسيس، الرأي الأول يعتبر العام ١٩٥٦ كعام تأسيس الحركة الكردية، والرأي الثاني يذكر العام ١٩٥٧، ولو عدنا إلى ما ذكره المؤسسون، يقر الجميع بأن عام تأسيس التنظيم الأول في العام ١٩٥٦، فيذكر الخالد آبو أوسمان صبري في سياق إجابته عن سؤال يتعلق بظروف تأسيس حزب البارتي، من قبل نشرة آرمانج التي كانت تصدرها اللجنة المنطقية التابعة للحزب الديمقراطي الكردي السوري بدمشق وذلك من خلال لقاء مطول منشور بشكل كامل بتاريخ تشرين الثاني - كانون الأول ١٩٨٤ ((كنت مؤمنا بأن الشعب هو الذي يستطيع أن يخدم قضاياه وليست البرجوازية، فتبلورت الفكرة في العام ١٩٥٥، ولكن الحزب تأسس بشكل عملي في العام ١٩٥٦ وبالاشتراك مع ثلاث شباب آخرين)) .

لو تأملنا إجابة آبو أوسمان صبري، سنصل إلى نتيجة مفادها، بأن فكرة تشكيل حزب سياسي كردي في سوريا، هي من بنات أفكار آبو أوسمان وكانت حصيلة خبرته وتجاربه النضالية، ولم تكن الجمعيات الموجودة في تلك الفترة مقدمات أو إرهاصات لفكرة تأسيس تنظيم سياسي، وإن ساهمت لاحقاً بإغناء الحزب تنظيمياً.

ويشترك الأستاذ عبد الحميد درويش في الرأي مع آبو أوسمان صبري في عام التأسيس ١٩٥٦ فذكرها لأكثر من مرة في لقاءاته التلفزيونية حول تأسيس الحزب الأول وأيضاً في كتابه أضواء على الحركة الكردية في سوريا صـ ١٥((وبالفعل توجهنا في أواسط عام ١٩٥٦ إلى تشكيل حزب سياسي)).

أما بالنسبة للرأي الثاني، هنا تكمن الإشكالية التي بدأت بتواصل آبو أوسمان صبري مع مجموعة شيوعيين كرد سوريين من عفرين كانوا على خلاف مع الحزب الشيوعي السوري، بسبب طلب إصدار نشرات باللغة الكردية محلية في المناطق الكردية والحزب كان يرفض ذلك، وهم (رشيد حمو- شوكت حنان – محمد علي خوجا – خليل محمد) الذين انضموا إلى البارتي في ١٤ حزيران ١٩٥٧.

ينتاب نوع من الغموض حول هذه الحادثة وتكثر حولها الاستفهامات، هل أخبرهم آبو أوسمان بأن الحزب لم يؤسس بعد، بل هو في طور التأسيس، وهذا يتعارض مع ما قاله آبو أوسمان لنشرة آرماخ بأن الحزب تأسس فعليا في العام ١٩٥٦، إضافة إلى ذلك سيزيد من عدد المؤسسين بالتالي لن يبقى المؤسس الوحيد كما أشار في سياق إجابته لنشرة آرماخ.

أو لربما بناء على طلب تلك المجموعة، وهو اعتبارهم كمؤسسين للبارتي، كون كل ما تم سابقاً لم يتم من خلال مؤتمر، بل كان عبر اجتماع فقط، فلكسب تلك المجموعة وللاستفادة من خبراتهم التنظيمية استجاب آبو أوسمان لمطلبهم، فتم الإعلان في الرابع عشر من حزيران ١٩٥٧ عن تأسيس البارتي. إذاً يمكن القول إن التأسيس الفعلي كان في العام ١٩٥٦ ويمكن اعتبار ١٤ حزيران ١٩٥٧ كإعلان التأسيس.

الإشكالية الثانية هي إشكالية المؤسسين، يذكر محمد ملا أحمد في نفس المقالة ومؤلف كتاب صفحات من تاريخ حركة التحرر الوطني الكردية في سوريا: (ولكن مع الأسف، الموالاة، أو قلة الاطلاع، تلعب دورها في ذكر أسماء المؤسسين للبارتي في سوريا عام ١٩٥٧، أو إعطاء هذا الدور للبعض، وتغييب آخرين. مثلا: كثيرون لا يذكرون اسم الشيخ محمد عيسى ملا محمود بين أسماء المؤسسين. وأحس أحياناً، لو استطاع بعضهم لحذف اسم عثمان صبري (مع ما له من دور في التأسيس) من لائحة المؤسسين!!! بينما آخرون يضيفون اسم الدكتور نور الدين ظاظا، أو اسم جكرخوين، إليهم).

إذا استرجعنا جواب آبو أوسمان لنشرة آرماخ، أسست الحزب بالاشتراك مع ثلاث شباب آخرين، إذا عدد المؤسسين أربعة، وذلك يخالف مع ما ذكره الأستاذ عبد الحميد درويش في كتابه صـ ١٥، حيث ذكر أن عدد المؤسسين ثلاثة فقط، وهم آبو أوسمان صبري وعبد الحميد درويش وحمزة نويران ويخالفه محمد ملا أحمد أيضاً.

من المعلوم أن المؤسسين هم، أوسمان صبري، شيخ محمد عيسى ملا محمود، عبد الحميد درويش، حمزة نويران. وترتيب الأسماء بناء على ما ذكره آبو أوسمان صبري .

أما بالنسبة لما تبقى من أسماء، نور الدين زازا وجكرخوين، فالخالد نور الدين زازا عاد من أوربا في النصف الثاني من خمسينات القرن الماضي وانضم إلى الحزب في العام ١٩٥٨ وأصبح سكرتيراً للحزب، ويقول أوسمان صبري في مقابلته مع نشرة آرماخ المذكورة سابقاً "(وفي بداية تأسيس البارتي طلبت من الدكتور نور الدين ظاظا التعاون معنا، لكنه رفض وآثر العمل مع البرجوازية الكردية وبعد عودته من أوروبا أبدى استعداده للانضمام إلى الحزب، ووافقنا ومن ثم أصبح سكرتيراً للحزب عام ١٩٥٨).

أما بالنسبة للشاعر الخالد سيداي جكرخوين أسس حزب آزادي في أوائل عام ١٩٥٨، ثم حل الحزب نفسه وانضم إلى صفوف البارتي في نفس العام بحسب محمد ملا أحمد.

بالنسبة للشيخ محمد عيسى، كانت تربط بينه وبين أوسمان صبري علاقة وثيقة منذ بداية أربعينات القرن الماضي، عندما حاول الشيخ التواصل مع خويبون، ومن ثم أصبح أوسمان صبري موظفاً في الدرباسية ونتيجة لعلاقته الحميمة مع الشيخ، منحه شيخ محمد عيسى منزلاً ليسكن فيه بالدرباسية، فيذكر محمد ملا أحمد في كتابه عن الحركة الكردية في الصفحة ٤٠، بأن شيخ محمد عيسى قال: إنه كان على اتصال مع أوسمان صبري، (قطب الحركة، وصاحب الفكرة الأولى والخطوة الأولى باتجاه البارتي، من الأربعينات وكان يتباحث معه (أي عثمان) عن القضايا القومية والنضالية. ويقول رشيد حمو، إنه في عام ١٩٥٧ جاء مع حمزة نويران والشيخ إلى القامشلي، ومنه كانوا ينطلقون في نشاطهم الحزبي.

وللإضافة، أول اثنين باشرا عملية تأسيس التنظيم في الجزيرة هما المرحوم حمزة نويران، ومحمد باقي الشيخ (شيخ باقي) وبدعم من الشيخ محمد عيسى الذي وضع سيارته (الجيب) تحت تصرفهما في صيف ١٩٥٦، حيث انطلقا في عملهما من ريف الدرباسية وعامودا. وكان من طليعة المنظمين في الحزب شخص اسمه (عيسى) يقال له (أبو شنب) من قرية (تورات) في ناحية الدرباسية وكذلك محمد ملا درويش من القرية ذاتها، ويعتقد أن من بين هؤلاء الأوائل الأستاذ محمد جزاع عن طريق خاله حمزة نويران، وكذلك سعيد بشار من الدرباسية وعبد الرحيم عبدي من قرية (جاغربازار) في ناحية عامودا وعبد الفريد ملا إبراهيم من قرية (كعيط) في ناحية عامودا والذي عن طريقة انضم بعض من مجموعة (جمعية الثقافة والتعاون الكردي) إلى الحزب. بينما كان التأسيس الحقيقي للتنظيم وبشكله الهرمي هو بعد حل جمعية (وحدة الشباب الديمقراطيين الأكراد) في القامشلي وانضمامها إلى الحزب مع بداية عام ١٩٥٨ وكان منهم محمد ملا أحمد وعبد الله ملا علي وآخرون (المصدر دنكى كرد، العدد ٢١٩، أوائل تشرين الثاني صـ ٦، يصدرها الحزب الديمقراطي الكردي السوري).

حقيقة إذا كان لابد من إضافة أسماء آخرين على أسماء المؤسسين، فمن أولى إضافة محمد باقي الشيخ (شيخ باقي) لما له من دور في تأسيس التنظيم، كما أنه صاحب أول مهمة خارجية للحزب في أوائل العام ١٩٥٨ حيث أوفد من قبل اللجنة المركزية للحزب إلى كردستان تركيا بهدف الاجتماع بالقادة والفعاليات الكردية هناك للتحاور ودراسة إمكانية تأسيس البارتي في كردستان تركيا. وتأسس البارتي الديمقراطي الكردستاني - تركيا برئاسة فايق بوجاغ لاحقاً.

تحضرني مقولة للأستاذ عبد الحميد درويش في ذكرى أربعينية رحيل محمد باقي الشيخ (شيخ باقي) بتاريخ ١٤ حزيران ٢٠٠٨، في منزل الراحل بشبعا / دمشق: كان الرفيق والأخ محمد باقي من الأوائل الذين عملوا في هذا الحزب، وقد كان يمكن بأن يكون من المؤسسين لولا وجود أخيه الشيخ محمد عيسى رحمه الله، فالتقاليد المتبعة في هذه العائلة لم تكن تسمح أن يكون الاثنان يعملان في نفس الهيئة أو اللجنة التي يعمل بها المرحوم شيخ محمد عيسى.

https://www.youtube.com/watch?v=cuTlk6sR5A4

رابط كلمة الراحل الأستاذ عبد الحميد درويش في أربعينية المرحوم محمد باقي الشيخ (شيخ باقي).

ثالث إشكالية تعددت فيها الآراء ومازالت محط جدل بين الشخصيات السياسية والأحزاب، إشكالية اسم الحزب الكردي الأول في سوريا، الأول يذكر البارتي الديمقراطي الكردي في سوريا والثاني يرى بأن الحزب الأول أسس تحت مسمى البارتي الديمقراطي الكردستاني في سوريا.

يذكر آبو أوسمان صبري: (تأسس البارتي أو ما

تأسس تحت اسم البارتي الديمقراطي الكردي في سوريا ولكن وبإيعاز من جلال الطالباني كان هناك تيار يريد تغيير اسم البارتي إلى البارتي الديمقراطي الكردستاني في سوريا وأبديت اعتراضي على ذلك وأكدت لهم عدم مقدرتهم الدفاع عن هذا الاسم وهذا النهج ولكنهم أصرّوا على رأيهم وفرضوا هذا الاسم على الحزب).

نستشف مما ذكر، أن التنظيم تأسس تحت اسم البارتي الديمقراطي الكردي في سوريا وهو سابق زمنيا على اسم الحزب الديمقراطي الكردستاني في سوريا، فكما يذكر آبو أوسمان صبري بأن التغيير تم بإيعاز من جلال الطالباني، ويذكر الأستاذ عبد الحميد درويش، بأن في العام ١٩٥٩ تم تغيير اسم الحزب من البارتي الديمقراطي الكردي في سوريا إلى البارتي الديمقراطي الكردستاني في سوريا من دون أن يقدم شرحاً وافياً كيف تم ذلك، بالمقابل يقول محمد ملا أحمد في مقالته حول تأسيس البارتي في ذكراه الحادي والخمسين: (اتفق جميع المؤسسين المجتمعين بتاريخ ١٤ حزيران ١٩٥٧ (الذي اعتبر التاريخ الرسمي لتأسيس البارتي)، على تسمية تنظيمهم الجديد باسم (بارتي ديموقراطي كردستان سوريا)، وعلى برنامجه السياسي).

ويذكر ملا أحمد ما يلي: (أما تغيير الاسم من (بارتي ديموقراطي كردستان سوريا، إلى البارتي الديموقراطي الكردي في سوريا) فقد جاء حسب القرار المتخذ في اجتماع اللجنة المركزية للبارتي والمنعقد في شهر آذار من عام ١٩٦٤)، (وقد جاء هذا التغيير في الاسم والبرنامج الذي رفع عنه بند (تحرير وتوحيد كردستان) واستعاض عنه بالمطالبة بالحقوق السياسية والثقافية والاجتماعية، تلبية للرغبة التي أحس بها الجميع بعد اعتقالات ١٩٦٠، من أنهم يجب أن يراعوا وضع شعبنا الكردي المقسم بين أربعة دول غاصبة جائرة، وكذلك ظروف المنطقة، والدولية والأهداف المرحلية للبارتي).

لو تناولنا الحدث بالترتيب الزمني، فكرة تأسيس الحزب راودت آبو أوسمان صبري في العام ١٩٥٥، وبحسب أوسمان صبري ١٩٥٦ تم التأسيس الفعلي للبارتي الديمقراطي الكردي في سوريا، ففي المنهاج الذي صاغه أوسمان صبري كان اسم الحزب (حزب الأكراد الديمقراطيين السوريين)، لكن تم تغيره إلى البارتي الديمقراطي الكردي في سوريا أثناء الاجتماع الذي عقد في دمشق بمنزل آبو أوسمان، الذي حدده أبو أوسمان بأواسط حزيران ١٩٥٦، ويقول عبد الحميد درويش في كتابه: ((تغير اسم الحزب إلى البارتي الديمقراطي الكردي في سوريا في ١٤ حزيران ١٩٥٧ في منزل محمد علي خوجة في حلب بناء على اقتراح الأخوة في جبل الأكراد)) صـ ١٨، وفي أيلول ١٩٥٨ عقد اجتماع جمع قيادات من البارتي مع البكوات، في هذا الاجتماع تم الاتفاق على عدة نقاط من أهمها شعار تحرير وتوحيد كردستان، وأيضا على ما يبدو اسم الحزب الجديد الذي سيتشكل من البارتي الديمقراطي الكردي في سوريا وجماعة البكوات الذي كان لديهم حزب بداية سموه حزب خويبون والعام ١٩٤٦ سموه البارتي أيضاً، سيحل الحزبان وسينجم عنه حزب جديد تحت اسم البارتي الديمقراطي الكردستاني في سوريا، وهذا ما يؤكده محمد ملا أحمد في كتابه صفحات من تاريخ حركة التحرر الوطني الكردية في سوريا في الصفحة ٩٤ حين يبدأ بتقديم رأيه حول مجريات الأحداث في السجن بعد حملة الاعتقالات الكبرى على البارتي في ١٢ آب ١٩٦٠، والخلاف بين المعتقلين على مسألة أن البارتي، حزب أم جمعية، حول شعار تحرير وتوحيد كردستان، فيقول ملا أحمد ((سياسياً: لم تقف القيادة، أو بعضها، مدافعة عن برنامجها السياسي، وإنما خذلته، وتبرأت منه. برنامجاً وضعته، هي لا غيرها، قبل أقل من سنتين والآن تدير ظهرها له، لماذا؟ ما المتغيرات في الأمر؟)).

اذاً هنا ننتبه أن محمد ملا أحمد يتحدث عن فترة زمنية، أواخر ١٩٦٠ وبدايات ١٩٦١، فيقول: برنامجاً وضعته، هي لا غيرها ويقصد بها القيادة،

قبل أقل من سنتين!!. فإذا أخذنا تاريخ ١٢ آب ١٩٦٠ مثلاً، وعدنا إلى الوراء أقل من سنتين، سنكون بالضبط في أواخر ١٩٥٨ أو بدايات ١٩٥٩، إذا بهذه الحالة شعار تحرير وتوحيد كردستان واسم البارتي الديمقراطي الكردستاني في سوريا كان في أواخر العام ١٩٥٨ أو بدايات ١٩٥٩ وليس في العام ١٩٥٧ كما يقول محمد ملا أحمد ذاته في مقالته حول البارتي في ذكراه الحادي والخمسين، لأن المدة الزمني تتجاوز السنتين.

ولاحقاً كما يذكر محمد ملا أحمد تمت العودة إلى الاسم القديم، البارتي الديمقراطي الكردي في سوريا، في اجتماع اللجنة المركزية للبارتي المنعقد في آذار ١٩٦٤.

لاشك فيه إن الخوض في غمار أي موضوع يتعلق بالحركة الكردية ليس بالموضوع السهل، وهو شائك بسبب تدخل العوامل الذاتية وتشابكها، من طبيعة البنية الاجتماعية والمنبت الاجتماعي للأفراد المشاركين في الحدث، وطبيعة العلاقات فيما بينهم، بعضها من الواضح أنها كانت سيئة، وطغيان النزعة الفردية وجعلها الشخصية المركزية والمحورية، والنقطة الأهم عدم توافر الوثائق ليعتمد عليها المهتمين أحدث لغطاً حول مختلف المواضيع التي تتعلق بالحركة حتى يومنا هذا.

في النهاية بحسب ما أعتقد، أن المؤسس الحقيقي الوحيد للحركة هو آبو أوسمان صبري، الذي يصفه شيخ محمد عيسى بقطب الحركة، وصاحب الفكرة الأولى والخطوة الأولى باتجاه البارتي، واعتقد أن أوسمان صبري كان في هذه القناعة أيضاً من خلال جوابه عن ظروف التأسيس عندما قال: ((ولكن الحزب تأسس بشكل عملي في العام ١٩٥٦ وبالاشتراك مع ثلاثة شباب آخرين)).

فهو لم يسم الشباب، ولم يعتبرهم من المؤسسين، بل ساعدوه في عملية التأسيس، والنقطة الثانية أثناء الاتصال بمجموعة عفرين، رشيد حمو ورفاقه، رفض أوسمان صبري بداية شرط المجموعة بأن يضموا إلى قائمة المؤسسين، لأنه كان يعتبر نفسه المؤسس، ولكن تمت الموافقة بعد الضغط عليه وإقناعه من قبل شيخ محمد عيسى وحميد درويش وحمزة نويران.

المعلوم أن قضية مؤسسي الحركة الكردية لم تكن تناقش في المراحل الأولى من عمر الحركة، ولكن لاحقاً تناولتها الأدبيات الحزبية والثقافية، فكتاب صفحات من تاريخ حركة التحرر الوطني الكردية في سوريا، بدأت فكرته في أواخر الثمانينات القرن الماضي، وأنجز وطبع في آذار ١٩٩١. أي بعد أكثر من ثلاثة عقود، رأى المرجع الأول عن بدايات الحركة الكردية النور، فالفترة طويلة نسبياً. وحتى الآن تفتقر المكتبة الكردية إلى كتب تتناول موضوع الحركة وظروف نشأتها.

وما أتمناه ألا تبقى الوثائق المتعلقة بتلك الفترة رهينة الأدراج والخزن، فحان الوقت كي تتحرر من أسرها وتصبح ملكا للجميع، وخاصة المهتمين إن وجدت.

المراجع :

١. نشرة آرماخ، تصدرها اللجنة المنطقية التابعة للحزب الديمقراطي الكردي السوري بدمشق، تشرين الثاني - كانون الأول، ١٩٨٤، العدد ٤.
٢. مقالة محمد ملا أحمد، في ذكرى ٥١ لتأسيس البارتي في سوريا . لا تلوي عنق التاريخ، منشورة في عدة مواقع كردية .
٣. دنكى كرد، العدد ٢١٩، أوائل تشرين الثاني صـــ ٦، يصدرها الحزب الديمقراطي الكردي السوري) .
٤. محمد ملا أحمد، صفحات من تاريخ حركة التحرر الوطني الكردية في سوريا، جـــ ١، آذار ١٩٩١ .
٥. عبد الحميد درويش، أضواء على الحركة الكردية في سوريا، أيار ٢٠٠٠ .